ثقافة الطفل العربي

د.عبد السلام بشير الدويبي
كلية الآداب ـ جامعة الفاتح

تمهيد:

ازداد الاهتمام بالثقافة عموماً وبثقافة الطفل على وجه الخصوص، وصار المجتمع الدولي، والمجتمعات القطرية، في شغل شاغل لتحقيق التنوع الثقافي، وحماية الخصوصية الثقافية، والتحصن ضد الذوبان في ثقافة العولمة التي يجسدها النموذج الغربي في خصائصه وتطلعاته.

وتزداد مسألة ثقافة الطفل العربي أهمية لكونها تنهل من ينبوع ثقافي كان له المكانة والانتشار في عصور ازدهار هذه الأمة وريادتها للعالم، وعولمة الثقافة العربية والدين الإسلامي الحنيف. فكيف لهذه الأمة أن تتخلى عن كل هذا أمام هذه التحديات؟

إن كل تقدم لعولمة الثقافة، يستتبعه غالبون وخاسرون، وهم في هذه الوضعية الأطفال العرب، الذين خلقوا لزمان غير زماننا، ولعولمة زاحفة سنبغي أن تزداد مناعتهم ضد أخطارها.

لقد شغلت ثقافة الطفل العربي جميع القطار العربية، بشكل جدي، منذ اعتماد نظام تأسيس الجامعة العربية عام1945 ف، وتوالت الجهود العربية في محاولة لها أهميتها في حماية هذه الثقافة، وضرورة المحافظة على الهوية الثقافية تواصلاً وديمومة دون ما انغلاق أو تعصب. ولكن هل تكفي هذه الجهود؟ وهل تستطيع أن تقف أمام الطوفان الإعلامي وثورة المعلومات، وشبكاتها، والسلع والخدمات والمال والمضاربات؟ إنه الطوفان الذي يزداد قوة مع بقدم صناعة الثقافة والإعلام وتطور أساليب الاستهواء والتأثير على الاتجاهات والقيم، وحتى على مفاهيم الذات ونموها منذ الصبى، وتوجيه العمل الذهني إلى قضايا مادية واستهلاكية، والعبث بالعاطفة والذوق وأساليب التكافل والترابط الاجتماعي الأصيل، وتأكيد التوجه الاستهلاكي وسواها. ومع كل هذه المعطيات تجري المحاولة هنا لمقاربة موضوع ثقافة الطفل وتسليط الضوء على البعد المأزمي لثقافة الطفل العربي مع محاولة الإشارة إلى بعض الجهود العربية الجادة للتصدي لهذه الأبعاد المأزمية، ومع ذلك لا تتجاوز هذه المقاربة حدود التنبيه والتوضيح والتحذير.

نحو مقاربة مفهوم الثقافة في علاقته بالطفل:

تقتضي معالجة مسألة ثقافة الطفل العربي مقاربة مرجعية لمفهوم الثقافة في عموم الدلالة والمضمون، فالثقافة في معاجم اللغة العربية مستمدة من الفعل ثقف بمعنى يفيد الفهم والحذق وسرعة التعلم، ورد في مختار الصحاح[1] تحديد لكلمة ثقف بمعنى الحذق والخفة. وفي المصباح المنير وردت كلمة ثقف بمعنى الفهم بسرعة، وإقامة المعوج من الأمر: فيقال ثقف المرء الشيء أي حذقه وصار حاذقاً فيه، والإمرؤ الثقف هو الموصوف بالفطنة والذكاء ورسوخ المعرفة. وتأخذ كلمة ثقف معنى التسوية والاستقامة والإصلاح، حتى أن بعض المعاجم اللغوية، تربطها بتسوية الرمح، وتقويم اعوجاجه[2].

وفي اللغة الإنجليزية تشتق كلمة ثقافة من الفعل الدال على الزراعة"Cultivate" والثقافة في دلالتها المعرفية الفكرية تعني اكتساب العلوم، والمعارف، بما يكور المخزون المعرفي للفرد ليتمكن من الإدراك الصحيح لدلالات الأشياء والحكم عليها. وهي من هذه الناحية ذات طبيعة مكتسبة متعلمة: أي تأتي نتيجة التواصل مع الآخرين بشكل مباشر أو غير مباشر وهي من وعلى حد قول مصطفى حجازي[3] تدل على المعرفة في المجالات الفكرية المختلفة التي تعتبر ضرورية لكل إنسان متنير بحيث يتمكن من التعامل مع قضايا ومستجدات الواقع الاجتماعي المعيشي. وهنا يقترب مفهوم الثقافة من الغرس[4] "Cultivation" للدلالة على غرس وتنمية العلوم والآداب في عقول المسدفين وقد قام "هيجل" الفيلسوف الألماني المعروف، باستخدام كلمة فكر كمرادف لكلمة ثقافة. وفي هذا السياق يشير مصطلح الثقافة بأنها وعلى الصعيد الفكري تعبير عن فعالية ترقية وتنمية مدركات الأفراد في المجالات العلمية واللغوية والفكرية والفنية بما يسهم في تطوير نمو مفهوم الذات ومفهوم الغير.

والثقافة في مفهومها الاجتماعي اقتربت، إلى حد الاندماج، بمفهوم الحضارة حتى أن "تايلولر" في تعريفه للثقافة قد جعلها مرادفة للحضارة وذلك عندما قال: "الثقافة أو الحضارة، بمعناها الواسع هي هذا الكل المركب الذي يشمل المعارف والمعتقدات والفنون والحق والأخلاق والأعراف وكل ما يكتسبه الإنسان باعتباره عضواً في جماعة أو مجتمع". والثقافة في هذا السياق تشير إلى طريقة حياة مجموعة من الناس، وطرق تفكيرهم وعلاقاتهم، وهي ذات طبيعة تراكمية، متغيرة ومتصارعة، بين القديم والجديد ومطورة ومؤثرة. وهي هنا كما يصفها فؤاد شاهين[5] بأنها" مجمل ما يقدمه المجتمع لأبنائه من عادات وقيم وأساليب سلوك وتوجهات، وعلاقات وأدوار وتقنيات، كما يتعلموها ويتكيفوا معها، وهي نمط معيشة للجماعة. وقد ارتبطت الدلالات الاجتماعية للثقافة باكتساب أفراد جماعة ما، نمطية متقاربة أو موحدة للتفكير والإدراك والسلوك.

فهي توفر إجابات جاهزة للكثير من متطلبات العمل والسلوك والعلاقات. وتبرز أهمية الثقافة في حياة الطفل من خلال دورها كموحد وموجه للأطفال عبر فعاليات التنشئة الاجتماعية وغيرها ليستوعبوا مضامين الثقافة في بتراكيبها اللغوية والرمزية والاعتقادية والجمالية والفنية ويصيروا متشابهين إلى أبعد الحدود فيما يطورونه من إطار ثقافي مرجعي يشتركون فيه، ويحققونه بموجب الانسجام والتواصل والانتماء. وهي كذلك تؤطر الأجيال الجديدة في نسق من الأدوار والعلاقات الاجتماعية وأهم وظيفة للثقافة في حياة الطفل عموما والطفل العرب على وجه الخصوص، علاقتها بتشكيل الشخصية وتحديد ملامح الهوية العربية. وتقودنا المقاربة السابقة لمفهوم الثقافة ووظائفها إلى مقاربة أكثر تحديدا لثقافة الطفل العرب التي تتصل بتلك الدلالات العامة وتتموضع في مواقع مختلفة من الثقافة العربية بمفهومها الواسع وتتناغم مع الخيارات الأيديولوجية

والاجتماعية التي تساهم في تنمية شخصية الإنسان العربي في بدايات حياته وتحديد مدى انتمائه إلى هذه الأمة ذات الهوية المتميزة والإرث الثقافي العريق.

الثقافة من بين يدي الطفل ومن خلفه:

وإن بدت كلمة الثقافة في شكل ثبوتي معبرة عن جلة من المعطيات الفكرية والمادية، فهي في باطنها دائمة التغير، والتبدل، في علاقة جدلية تربط الماضي بالحاضر وتقود إلى المستقبل. فما بين يدي الطفل العربي من معطيات ثقافية قد بدأت وكأنها في قطيعة مع ماضي الثقافة العربية الأصلية. إن المابينية بينه هنا في تشخيصها لحالة ثقافة الطفل راهنها وماضيها تؤكد على حقيقة بداية انهيار الصورة الأصلية لثقافة عربية سادت وأصبحت الآن في معترك تواجه فيه أشد الضربات عبر وسائط مرئية ومسموعة لا قبل لها بها فبدأت تترك العديد من مضامينها، وتسمح بتسرب مضامين الحداثة والمعاصرة في علاقة يبدو وكأن الماضي الثقافوي قد مضى ولم يمض بأجمعه، وأن المعاش الثقافوي قد حضر ولم يحضر بأكمله.

وصارت المعادلة بين قديم يخضع لإعادة مراجعة ومنافسة شديدة، وبين جديد يغلفه الانبهار وتأسر تقنياته العقول عموما وعقول أطفالنا على وجه الخصوص. وترتبط ثقافة الطفل، في هذا المسار، بتكوين الأنا التي تعبر فقط عما بين يدي الطفل أي كينونته، ولكنها تعبر أيضا عن ماضي هذه الكينونة ومستقبلها وهكذا فإن ذات الطفل التي تنمو من خلال فعاليات التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي، تحيا داخل الطفل فلا تنفصم عنه وهي بهذا تراوح في شكل تعادلية تعبر عن التنظيم الدينامي"غير المستقر" المتنامي الذي ينفعل لمعطيات الوسط الاجتماعي بنية التكيف أو التهادن معه.

وفي إطار الطرز المابينية والورائية التي ترتسم ملامحها من خلال المرجعية الثقافية"الذاكرة والمعاش" لأي مجتمع، تتحدد ملامح سلوك الطفل ومواقفه واتجاهاته وتتحدد تبعا لهذا كله أساسيات هويته وشخصيته الانتمائية كعربي في حالة الطفل العربي.

وتتجلى خصوصية ثقافة الطفل العربي في تداعياتها المرتبطة بالتقاطع بين ما هو أصيل وبين ما هو معاصر في السعي لتوجه نمو هذا الإنسان، وضبطه ليكون نتائج هذا الضبط شخص له سمات عربية مناظرة أو مقاربة كل ما هو عربي، مع وجود هوامش فارقية في فعاليات الثقافة يصير النمو المعرفي والنضج الاجتماعي حاجزا دونما هو فردي وفوضوي ومطلق الحرية والتلقائية، لأنه يصير وبحكم المعطيات الثلاثية للثقافة"النفسي— الاجتماعي— الحضاري" موجها نحو المماثلة والتقارب مع الآخر.

إن الطفل أيا كانت تجدراته الانتمائية يندمج في رحم الثقافة شأنه شأن سابق اندماجه في السائل الرحمي الأميني مع فارقية القياس بين الاثنين. والطفل ناقل للثقافة ومتلقّ لها لأنه وفي الذّات الطفل كما يقول جان بريتيه[6] ترتسم العناصر التي تسهم في استمرار الحياة الاجتماعية أو تؤدي إلى انقراضها أو اضطرابها.

وللطفل في صيرورة نموه الاجتماعي وإدراكه لثقافة مجتمعه حدود تعرف بحدود النمو بعضها مادي وبعضها معنوي، تندرج ضمن المحددات الثقافية بمفهومها الواسع، وإن نمو وعي الطفل بكل هذه المجددات يمثل كما يرى ماجد إبراهيم[7] "علامة صحية لأنها تشعره بذاته وسط الكون كما أنها تحميه من التشتت والضياع" وأنه عندما لا يقع ذلك وتتأرجح تصورات وإدراكات الطفل

ثقافة مجتمعية بين المقاربة الواعية والوهم، يكون ذلك مؤثراً على وجود درجة من العتمة خاصة في حالة تنوع وسائل تواصل مع العالم من خلال تقنيات التواصل المعاصرة.

هكذا تبدو عملية تثقيف الطفل العربي في إطار خضم ترتفع فيه أمـواج اللاتوازن الزاخرة بين ما هو أصيل ومدرك بوعي وبين ما هو عصري ومدرك بشكل انبهاري طيفي، وعلى حد زعم كل من ماي MAY ورافـين Irvin فـإن الطفل يتذبذب بين حالة الاستسلام للثقافة الأصلية المحقونة عبر عمليات التنشئة الاجتماعية في وسطائها التقليدية المعروفة وبين الشعور بـالتبعثر أو التلاشـي الرافض علنا أو على استحياء لما هو أصيل تحـت تـأثير الجرعـات الثقافيـة المحقونة عبر وسائط التواصل المعلوماتي المعاصرة والمتطورة.

فالطفل ككائن اجتماعي يمر بعملية تموضع في دروب الثقافـة"الـسالكة وغير السالكة" والعلاقات الاجتماعية"الحميمة وغير الحميمة" في تجدرها الثقافي وتأثرها بكل ما هو عصري رغم الخصوصيات المكانية والانتمائية وبالتالي فإن تشكيل المخزون المعرفي الثقافي للطفل العربي يصير رهانا تسعى لكسبه وسائط تثقيف متعددة بعضها منسجم وإيجابي وبعضها متعارض وغرضي سلبي. وتزداد عثامة الموقف الثقافي للطفل العربي منذ بداية طغيانه لثقافة عالمية ذات جـذور غربية تتجاوز كافة الحواجز والمحددات الثقافية غير آبهة بالخصوصيات الثقافية فرضت قيما سطحية أو استهلاكية سوقية.

وهذه الوضعية تجعلنا نقترب من وجهة نظر الأستاذ تركي الحمد[9] فـي هذه المسألة من حيث أن هذه الثقافة العالمية تنتشر وتسود على ثقافـات أخرى.

وحتى مع رفضنا لهذا الانتشار ومحاولة التحصن ضده وراء حصون الأصـالة فإن هذا غير كاف ولا قادر على إيقاف هذا الانتشار.

هكذا يضعنا زحف الثقافة العالمية ونحن نقارب موضوع ثقافة الطفل إمام ما يمكن أن نسميه بالنوستالجيا Nostalgia التي تعني التباهي بالماضي والتوق المرضي لاستعادته وهو مرضي لأنه مؤثر على محدودية قدرة الأنا أو الذات على استيعاب المستجدات والمتغيرات على مختلف الأصعدة.

مأزمية ثقافة الطفل العربي في عصر العولمة:

البحث في ثقافة الطفل العربي في عصر العولمة، يرسلنا بعيدا إلى بداية الألفية الثانية، ويجعلنا نقف وجها لوجه مع مقولة ابن خلدون في مقدمته التي جاء فيها: "إن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"[10]. وهي إرسالية استفهامية لمقاربة وضعية ثقافة الطفل العربي في عصر العولمة والمعلوماتية، بكل ما تعنيه من مباحث في الدول والثقافات المبدعة للعولمة والمطورة للمعلوماتية، والدول والثقافات المستهلكة لنتاجات ومخرجات العولمة ومستفيدة من المعلوماتية. إن هذا الموقف في بعده الثقافي يجعلنا نقترب كثيرا من الثنائية الخلدونية، ثنائية المغلوب والغالب، وإذا كان ابن خلدون قد اكتفى بالقول بأن المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب فإن الثنائية المعاصرة تبيح القول بأن المغلوب أو المقهور مضطر ومدفوع إلى الاقتداء بالغالب بل وحتى تتصيب نفسه مدافعا وداعيا لبرك أصالته والارتماء في أحضانه الغالب"فكرا وعلما وثقافة وربما حتى عقيدة". إن مقاربة ثقافة الطفل العربي من منظور تأزم وضع الثقافة العربية في عصر العولمة والمعلوماتية هي مقاربة لنمو الذات العربية وروافد نشأتها وتطورها، إنها مقاربة تبتعد عن إصدار الأحكام وإلصاق التهم، وجلد الذات، والبكاء على ما فات،. هي مقاربة متأنية تحاول أن تسهم في مسألة التعامل مع ثقافة الطفل العربي في عصر تقلص فيه الدور الثقافي للأسرة وحتى المدرسة واتسع فيه دور وسائط الاتصال الجماهيري عبر فضائيات البث المرئي وشبكات المعلومات والهواتف المحمولة.

إشكالية ثقافة الطفل العربي وفقا لهذا المعطى تتموضع فيما يمكن أن نؤطره في منظومة(نفس- اجتماعية) تتميز مكوناتها بنوع من التداخل والتصارع والخلط بين تيارات ثقافية مهاجمة وأخرى تقف موقف المدافع المتحصن وراء حصول وهمية وميكانزمات دفاعية لا ترقى لمستوى المواجهة والتصدي.

وهكذا فإن إشكالية ثقافة الطفل العربي في عصرنا اليوم تعتبر من صعوبات صيرورة نمو هوية عربية للطفل العربي في نماذج متعارضة بين ما هو أصيل وما هو دخيل يكتفي بنعته بالغزو الثقافي، وهي إشكالية تندرج في بني المجتمع العربي ووظائفه، وتمس كل ما هو نفسي واجتماعي في عمليات التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي خاصة في زحمة الليبرالية الاقتصادية وسياسات السوق. إنها كما يرى د.القباج[11](حالة تؤدي إلى نوع من المواقف المأساتية تزداد خطورتها يوما بعد يوم لتشمل جيلا أو عددا من الأجيال، ستؤدي ثمن هذا الوضع قبل إبداع فكرولوجي انطلاقا من مركبات ثقافية وتربوية وبمجهود علمي كاف).

إن فعاليات تثقيف الطفل العربي عبر وسائط لتنشئة التقليد تجد نفسها وجها لوجه مع فعاليات جد متطورة تحول دونها وجون تحويل عناصر الثقافة الأصلية إلى نماذج وأطر مرجعية راسخة متجدرة في الموروث الثقافي، وقد تجعل هذه المواجهة في موقف المضطر الأضعف لاستعارة أو حتى تبني(لأن الاستعارة تقتضي المؤقت القابل للرد) نماذج ثقافية دخيلة ويكون لذلك معطيات تقترب من حالة الانسلاخ الثقافي وتفريغ مفهوم الذات لدى الأجيال الجديدة من العرب من نموذجها، ومحتواها الثقافي الأصيل وكيف لها أن تبتعد وقد تسلمت فعاليات تثقيف الطفل المتطورة بأحداث الوسائل التي فاقت حد التصديق والتي عرفها"هنري ديوزيد"[12] بأنها"مجموع العمليات الكهربية والإلكترونية المستخدمة

في أنتاج ونشر الصورة والصوت والرموز من أجل التواصل بين الناس والمؤسسات والتقاط جمعيا أو فرديا منظم".

وإذا كانت الثقافة العربية تؤكد الإيمان بالقيم الأخلاقية السامية فإن تثقيف الطفل العربي المعاصر يتم أيضا من خلال وسائط التواصل المعلوماتي بالصوت والصورة عبر فضائيات عابرة للقومية يركز على المسألة الفردية وعلى قيم السوق والبورصة والحظ ومن سيربح المليون والعلم الطبيعي والتكنولوجيا المتطورة ذات الاستخدامات البراكماتية والرياضة والدعاية والإعلان لأغراض استهلاكية والموضى وغيرها.

كل هذه الوضعية المأزمية لثقافة الطفل العربي تبيح استشراف مستقبل هذه الثقافة في توقع يقترب من تخليها عن أهم مواقعها وفقدانها لأهم وسائطها واحتمالات بركم عجزها عند الصمود، وهي وضعية غير مفاجئة ولم تحدث هكذا دون مقدمات بل هي محسوس بها ومشعر بخطرها كما يتجسد ذلك في بعض الجهود العربية والدولية في ترسيخ التنوع الثقافي واحترام الحقوق الثقافية للشعوب.

إن هذه الجهود ربما تجعلنا متفائلين إلى حد التوافق مع ما قاله قدري حنفي[13] بأن الهويات الثقافية القومية قد تتعدل اختياراتها لرموزها وسلوكياتها المعبرة عنها وفقا لمعطيات العصر، ومع ذلك يظل الجوهر القومي أميل للرسوخ والثبات متمثلا في ذلك الشعور العربي الدفين بالانتماء إلى هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس.

بيان القاهرة عن ثقافة الطفل وأطره المرجعية:

إن الوضعية المأزمية التي بدأت تقترب بشكل متسارع من الثقافة العربية عموما إلى ثقافة الطفل العربي على وجه الخصوص قد دفعت أعلى السلطات الثقافية في الوطن العربي للتصدي لهذا الطارئ المكتسح، وفي القاهرة ومنذ ما

يزيد عن عشر سنوات أصدر وزراء الشؤون الثقافية في الوطن العربي بيان القاهرة لثقافة الطفل والذي تغنت ديباجته في شكل موقف دفاعي افتخاري بالإيمان الراسخ بالمنجزات الرائعة للحضارة العربية وما تتضمنه من قيم روحية عميقة وتراث إنساني أصيل وعطاء ثقافي خالد ومتجدد.

ثم يؤكد الوزراء المعنيون رغبتهم العربية المشتركة في الإفادة من دروس الماضي لتجاوز المحن وتخطي العثرات، وكأنه لهذا يشيرون إلى ما لي:

1. إنه ثقافة الطفل العربي في محنته الحقيقية.
2. وأن هناك العديد من العثرات التي تقف في طريق تأصيلها عربيا وإسلاميا.
3. وإن الموضوع لا زال في إطار الرغبة التي صارت جماعية معلنة.

وهم بإعلانهم هذا ينبهون العالم من خلال ما جاء في ديباجة الإعلان المذكور بأنهم يؤكدون على أن الثقافة العربية بكل ما لها من مقومات أصيلة وبكل ما تنطوي عليه من ثراء وتنوع، وما تزخر به من تراث حضاري غني، ومن طاقات إبداعية موصولة العطاء تجاوزت الإطار القومي إلى الآفاق العالمية الرحبة، في مختلف مجالات الفكر والفن والآداب والعلم، مما يجعلها جديرة بأن تستمر الاستثمار الأمثل، من أجل تأكيد هويتنا القومية والتأصل في كياننا والإنفتاح على ثقافات الشعوب وربط الثقافة بحركة التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي.

وتبرز ديباجة الإعلان مسألة الاهتمام بثقافة الطفل بربط مشكلات الحاضر وتداعياتها بحتمية توجيه ما يملكه العرب من طاقات إلى اهتمام بمستقبل الإنسان العربي بدءا من الطفل وذلك على اعتبار أن تحقيق هذه الغية هو المنطلق الأساسي والقاعدة المتينة لتعبئة القوى الفكرية والثقافية في الوطن العربي. ولكن ما هي منطلقات الاهتمام بثقافة الطفل؟ يحدد إعلان القاهرة منطلقات التوجه نحو ثقافة الطفل والاهتمام بها في الآتي:

1. أن النسبة الغالبة من التركيبة السكانية للوطن العربي هي من شريحة الأطفال.
2. أن الاهتمام بالطفل العربي أمانة ومسئولية.
3. لا يكفي وضع السياسات الثقافية المحكمة لرعاية الطفل وتثقيفه، بل يتطلب الأمر رصد الإمكانيات المالية والكافيات البشرية والتقنيات المتطورة التي تكفل تنفيذ هذه السياسات. وحدد وزراء الثقافة العرب في إعلانهم بشأن ثقافة الطفل أهداف وتطلعات محددة من أجل العناية بثقافة الطفل وذلك على النحو التالي:

1. بدل الجهود الصادقة للعناية بثقافة الطفل العربي، باعتبارها قضية قومية ومصيرية، وأساسا للتطور والنمو في سائر أنحاء الوطن العربي. وخير ضمان لإرساء الريادة الفكرية في بناء المستقبل الزاهر.
2. انتهاج سياسة محكمة ومتكاملة في مختلف مجالات تثقيف الطفل، تلتزم بها جميع المؤسسات والأجهزة الثقافية، تهدف إلى ترسيخ ثقافة عربية واحدة تسهم في تحقيق المصالح العربية المشتركة، وإلى نبذ أساليب الفرقة والتشتت وتأكيد الانتماء العربي الصادق.
3. تبادل الخبرات وتداول المعلومات والإفادة من المهارات والكفاءات العربية وإعداد الخطط الوطنية والقومية في سبيل تحقيق مستهدف ثقافة الطفل، وإعداده ليكون مواطنا عربيا صالحا مؤمنا بأمته سعيدا في حاضره مطمئنا على مستقبله.
4. مد الرعاية الثقافة للطفل العربي داخل الوطن إلى الطفل العربي في المهجر لتوكيد صلته بقوميته وتأكسد هويته العربية وترسيخ انتمائه على الوطن الأم.

ويمثل هذا الإعلان في كل أبعاده ومنطلقاته وأهدافه وتوجهاته إطارا معرفيا مرجعيا يمتزج فيه الحرص السياسي مع التوجه القومي والثقافي وليعبر عن ذلك

الإحساس المتنامي بالمصاعب والمخاطر التي تتعرض لها الثقافة العربية عموما ومسألة ثقافة الطفل العربي على وجه الخصوص كما يعبر عن الموقف الدفاعي التحصني لضمان صيرورة وتواصل الهوية العربية ليس فقط للطفل العربي في هذا الوطن بل وحتى لكل طفل عربي وجد نفسه مضطرا لتركه والهجرة إلى أماكن أخرى.

وإذا كان إعلان القاهرة المعنى بثقافة الطفل العربي قد صدر عام1991 ف، فإنه يمثل تواصلا مع جهود عربية صادقة للاهتمام بالثقافة العربية والأمن الثقافي العربي وتعد الخطة الشاملة للثقافة العربية التي أقرها مؤتمر وزراء الثقافة العرب عام1985 مرتكزا أساسيا في دعم ثقافة الطفل العربي.

وتنطلق الخطة الشاملة من جملة الأسس التي تعد في مجموعها إطارا مرجعيا للاهتمام بالثقافة العربية عموما وثقافة الطفل كأهمية متميزة على وجه الخصوص. وهي تؤكد على حق الإنسان العربي في اكتساب الثقافة وفي حرية التعبير عنها والتمتع بها، وأن التراث الحضاري الإسلامي هو الركن الأساسي في تكوين الثقافة العربية، والنبع الأصيل فيها عقيدة وقيما وتشريعا وهو الذي يميزها عن غيرها من الثقافات الإنسانية. وتلغي الخطط الشاملة للثقافة العربية الجمود وتفتح باب التغيير لاستيعاب معطيات العصر ومستجداته كما يجسد ذلك المبدأ السادس للخطط الذي ينص على عصرية الثقافة، بمعنى تحديث أو عصرنة الثابت والمتغير في الثقافة العربية الحالية، واستيعاب تيارات العصر، ومواكبة تحولاته تحديثا وانفتاحا، مع الحفاظ على الأصالة والهوية الحضارية العربية والقيم الروحية والفكرية للأمة العربي.

وسابق على كل هذا تضمن ميثاق تأسيس جامعة الدول العربية في عام1945 [14] اهتمامات ملحوظة بمسألة الثقافة العربية ودورها، وسعت الجامعة العربية في نفس سنة تأسيسها على إقرار الاتفاق الثقافي العربي. وفي عام 1964 وقع وزراء المعارف والتربية العرب ميثاق الوحدة الثقافي الذي ينص في مادته الأولى على ضرورة تنشئة جيل عربي واع مستنير مؤمن بالله، مخلص للوطن، يثق بنفسه وأمته، ويدرك رسالة القومية والإنسانية ويتمسك بمبادئ الحق والخير والجمال ويستهدف المثل العليا الإنسانية.

ويعد بيان عمان الثقافي الذي اعتمده وزراء الثقافة العرب عام1976 إطارا مرجعيا وتجدرا انتمائيا للثقافة العربية في أهميتها عموما وأهميتها للطفل على وجه الخصوص، ويبدو ذلك كله جليا في المبادئ التي أقرها إعلان عمان الثقافي والتي منها:

1. القضاء على جميع آثار الاستلاب الثقافي والغزو الفكري الظاهري والمستمر الناجم عن حقبة الاستعمار.
2. وضع سياسة ثقافية عربية موحدة تكون سبيلا للتنمية الثقافية.
3. العمل على تحقيق التكامل والتنسيق بين عمل أجهزة الثقافة والتعليم والإعلام لضمان المزيد من فعالية العمل الثقافي وتوسيع نطاق الخدمات للمواطنين، إسهاما في تكوين المواطن العربي تكوينا سليما معاصرا نابعة من أصول عروبته وقيمه الدينية.
4. التأكيد على اعتبار الثقافة حقا لجميع المواطنين مرادفا لحقهم في التعليم وحقوقهم الاجتماعية والسياسية.ويبرز في هذه المبادئ توجهات أساسية تقود على المزيد من العمل العربي نحو الاهتمام بالثقافة والإعداد الثقافي للإنسان العربي منذ بداية حياته.وتقودنا مقاربة الأطر المرجعية العربية

لثقافة الطفل إلى مقاربة بعض الأطر المرجعية الأخرى في هـذا السياق وعلى الأخص الإعلان العالمي لبقاء الطفل وحمايته ونمائه[15] الصادر عن مؤتمر القمة العالمية من أجل الطفل والذي يعد متابعة وتأكيدا على تنفيذ الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل. وقد صدر هذا الإعلان ضمن مهماته مهمة رئيسية بالدعوة لتوفير الفرصة لجميع الأطفال لاكتشاف ذواتهم وإدراك أهميتهم في ظل بيئة آمنة مكفولة، من خلال الأسر والجهات الأخرى المعنية برعايتهم، كما يجب إعدادهم لتحمل المسئولية في ظل مجتمع حر وتشجيعهم منذ سنواتهم الأولى على المشاركة في الحياة الثقافة لمجتمعهم.

وأفردت الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل نصوصا محددة تعني بضمان حقوق الطفل في الثقافة والانتماء الثقافي فقد نصت المادة[13] من الاتفاقية المذكورة على أن يكون للطفل الحق في حرية التعبير، ويشمل هذا الحق حرية طلب جميع أنواع المعلومات والأفكار وتلقيها دون اعتبار للحدود سواء بالقول أو الكتابة الفن أو بأية وسيلة تعبير.

وحتى لا تجعل مسألة حصول الطفل على المعلومات مدعاة لاحتمالات الانحراف جوزت الفقرة الثانية ثم المادة(13) إخضاع ممارسة الطفل لهذا الحق لبعض القيود ينص عليها القانون المحلي وتكون لازمة لاحترام حقوق الغير سمعتهم وحماية الأمن الوطني أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة

ونصت المادة(17) على أن تعترف الدول الأطراف بالوظيفة المهمة التي تؤديها وسائل الإعلام، وتضمن إمكانية حصول الطفل على المعلومات والمواد من شتى المصادر الوطنية والدولية، وخاصة تلك التي تستهدف تعزيز رفاهيته

لروحية والمعنوية وصحته الجسدية والعقلية. ولتحقيق هذا تقوم الدول الأطراف ي هذه الاتفاقية بما يلي:

1. تشجيع وسائط الإعلام على نشر المعلومات والمواد الثقافية ذات المنفعة الاجتماعية والثقافية للطفل.
2. تشجيع التعاون الدولي في إنتاج وتبادل ونشر هذه المعلومات والمواد من شتى المصادر الثقافية الوطنية والدولية.
3. تشجيع إنتاج ونشر كتب الأطفال.
4. إيلاء عناية خاصة لاحتياجات اللغوية والثقافية للطفل المنتمي لمجموعة من الأقليات.
5. وضع مبادئ توجيهية ملائمة لوقاية الطفل من المعلومات والمواد التي تضر بمصالحه.

وتربط المادة 29 من هذه الاتفاقية بين حق الطفل في التعليم وحقوقه الثقافية عندما نصت على موافقة الدول الأطراف على أن يكون تعليم الطفل موجها نحو:

أ- تنمية شخصية الطفل ومواهبه وقدراته العقلية والبدنية إلى أقصى إمكاناتها.

ب- تنمية احترام حقوق الإنسان والحريات.

ج ــ تنمية واحترام ذوي الطفل وهويته الثقافية ولغته وقيمه الخاصة، والقيم الوطنية لوطنه.

د ــ إعداد الطفل لحياة تتشعر المسئولية في مجتمع حر بروح من التفاهم والسلم والتسامح والمساواة بين الجنسين والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات الاثنية والوطنية والدينية.

هكذا تجد ثقافة الطفل اهتماما متجدرا في أعماق وجوده الوطني وانتمائه الإنساني ورغم أن موقع ثقافة الطفل من أولويات العديد من الدول وحتى الأسر والمدارس

هو من المواقع التي تأتي في مؤخرة الأولويات وحتى وإن تعدتها فإنها قد لا ترقى لقمة هذه الأولويات، فإن ما يبدل من جهود وما تقتضيه معطيات العصر الذي يشهد ثورة معلوماتية في مضامينها ووسطائها بدأت تضغط وبشكل غير مسبوق إلى إعادة ترتيب الأولويات وإعطاء الثقافة عموما وثقافة الطفل على وجه الخصوص المكان الذي تستحق أن تشغله في سلم الأولويات. مع الحذر الشديد نحو ما تفرضه هذه الوضعية من ارتماء استسلامي بين أحضان العولمة والانبهار بها.

قائمة المراجع

1. الرازي، أبو بكر ابن زكريا(بدون تاريخ) "مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر بيك، دار القرآن الكريم، بيروت لبنان.
2. المقري، أحمد بن محمد(بدون) كتاب المصباح المنير، القاهرة المؤسسة العربية الحديثة.
3. حجازي، مصطفى(1190) "ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة.- المجلس القومي للثقافة العربية الرباط، ص 18.
4. الدويبي، عبد السلام بشير(2000) "علم النفس الاجتماعي". الجامعة المفتوحة طرابلس. ص 25ـ30.
5. شاهين، فؤاد(1980) "علم الاجتماع ومفهوم الثقافة"، مجلة الفكر العربي، العدد14، ص 61.
6. ورد ضمن كتاب: إبراهيم، ماجد(1999) "سيكولوجيا القهر والإبداع دار الغرابي، بيوت لبنان، ص 40ـ45.
7. المرجع السابق ص45.
8. 8- R, May, and Y, Irvin(1989)"Current Psycho-Therapis, U.S.A. PP 370.
9. أحمد، تركي(1999) "الثقافة العربية في عصر العولمة" دار الساقي، بيروت ص 11.
10. ابن خلدون، عبد الرحمان(بدون تاريخ) "كتاب العصر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر، دار الكتاب العربي، بيروت ص 147.
11. القباج، محمد مصطفى(1984) "التناقضات بين التنشئة المجتمعية في الأوساط التقليدية، والتنشئة الاجتماعية بواسطة تقنيات التواصل في

المغرب"، ضمن كتاب: "أنماط تنشئة الطفل اجتماعيا"، وتعريب، صـــالح البكاري، الدار العربية للكتاب، تونس ص 107.

12. المرجع السابق ص 109.
13. حفني، قدري(2001) "تقديم ملف العدد2 من مجلة الطفولة والتنميـــة، لمجلس العرب للطفولة والتنمية" المجلس العربـــي للطفولـــة والتنميـــة، القاهرة، مصر ص 124.
14. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(1990) "الخطة الشاملة للثقافة العربية"إدارة الثقافة، تونس، ص 27ـــ31.
15. اليونسيف(1997) "الأطفال أولا: الإعلان العالمي لبقاء الطفل وذاتـــه وخطة العمل واتفاقية حقوق الطفل" مؤسسة الصحافة الأردنية، عمـــان، ص 11ـــ83.